



سياسات التعذيب الفرنسية خلال الحرب التحريرية الجزائرية 1954-1962

French Torture Policies during the Algerian War of Independence 1954-1962.

د. عبود سميرة*

جامعة الجزائر 02 ابو القاسم سعد الله - الجزائر-

aboudsamira2024@gmail.com

تاريخ الاستلام:/...../..... تاريخ القبول:/...../.....

● الملخص:

مارس الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري كافة أشكال القتل والتعذيب والإبادة، حيث ارتكب آلاف المجازر بحق المدنيين الأبرياء، من بينهم الشيوخ والأطفال، منذ بداية غزوها للبلاد، وقد تباهى الجنود والضباط والقادة العسكريون في رسائلهم ومذكراتهم بما ارتكبوه من جرائم خلال القرن التاسع عشر، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل قام الاحتلال بتطوير أساليب التعذيب والقتل خلال الثورة التحريرية، بهدف تخويف الشعب الجزائري وعزله عن المقاومة، فابتكر أشكالاً متنوعة من التعذيب القاسي والهمجي.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال الفرنسي، التعذيب، الإبادة، الثورة التحريرية الجزائرية.

Abstract:

The French occupation committed all forms of killing, torture, and extermination against the Algerian people, perpetrating thousands of massacres against innocent civilians, including the elderly and children, from the onset of its invasion. Soldiers, officers, and military leaders boasted in their letters and memoirs about the crimes they had committed during the 19th century. The atrocities did not stop there; the occupation further developed methods of torture and killing during the Algerian War of Independence, aiming to intimidate the Algerian people and isolate them from the revolution. It invented various forms of brutal and barbaric torture.

Keywords: French occupation, torture, extermination, Algerian War of Independence.



مقدمة:

نفذت السلطات الاستعمارية المدنية والعسكرية خلال فترة الاحتلال، وبالأخص أثناء الثورة التحريرية، مخططاً إجرامياً للإبادة الجماعية إزاء الشعب الجزائري، وقد استخدمت جميع الوسائل المتاحة لديها في سياستها الاستعمارية القمعية والعقابية، ولم تقتصر هذه السياسة على فئة معينة، بل شملت الأطفال، النساء، والشيوخ دون تمييز.

ارتكبت فرنسا الآلاف من المجازر الجماعية وحالات القتل الفردي والعشوائي، مستعينة في ذلك بعدة وسائل وقوانين عقابية تتعارض مع القوانين الدولية وحتى مع قوانينها الداخلي.

تستمد هاته الورقة البحثية أهميتها في كونها تسلط الضوء على الجرائم التي ارتكبتها الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري، خاصة خلال الفترة الاستعمارية والثورة التحريرية، هذه الجرائم، التي تشمل القتل الجماعي والتعذيب والتهجير القسري، كانت جزءاً من سياسة ممنهجة تهدف إلى قمع المقاومة الجزائرية وفرض الهيمنة الاستعمارية، من خلال دراسة هذه الانتهاكات الإنسانية، تساهم الدراسة في فهم أعمق لتاريخ الجزائر الحديث، وتعزيز الوعي حول الجرائم الاستعمارية التي تركت آثاراً عميقة على الشعب الجزائري.

تهدف الدراسة إلى:

— تحليل الجرائم التي ارتكبتها الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري من خلال التعذيب والقتل والإبادة.

الكشف عن أساليب التعذيب التي ابتكرها الاحتلال الفرنسي أثناء الثورة التحريرية.

ولكي نفصل في الموضوع، تم طح الإشكالية المحورية التالية:

ما هي أنواع التعذيب التي طبقها الاستعمار الفرنسي؟ وما هي الأساليب التي اتبعتها في جرائمه ضد الإنسانية إبان الثورة التحريرية في الجزائر؟

وللإجابة عن الإشكالية السابقة، تم الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك من خلال تحليل مختلف أساليب الاحتلال القمعية والتعذيبية التي دوّنها التاريخ بين سطوره وأحداثه.

1- التعذيب خلال الفترة الجزائرية:

1-1 تعريف التعذيب

التعذيب هو عملية استجواب تُمارس على كل جزائري يُشتبه في انتمائه للثورة أو دعمه لها، وتعتمد هذه العملية على أساليب غير إنسانية وغير أخلاقية تنير الاشتمزاز في النفوس ضد مرتكبيها، وهدفها الضغط على السجين أو المعتقل وإجباره على الاعتراف بما يمتلكه من معلومات تفيد السلطات الاستعمارية لكشف أسرار الثورة وتحركات المجاهدين، ويتم تنفيذ هذه العمليات بواسطة أشخاص بلا شفقة أو رحمة، من أبرزهم أوزاريس، إيجار، وغيرهم، إلى جانب السلطة السرية والمكتب المخصص للمعتقلين السياسيين⁽¹⁾.

1-2 مراحل التعذيب :

تفنن الجنرالات الفرنسيون في إنشاء وتوزيع السجون والمعتقلات في مناطق مختلفة، مع اتباع إجراءات تنظيمية خاصة من قبل القائمين على هذه السجون، وبالأخص الجيش الفرنسي المكون من عناصر ذات أصول أوروبية، هذه الإجراءات تختلف من سجن إلى آخر، كما تتفاوت باختلاف مرحلة السجين أو الأسير، حيث تصبح أكثر تعقيداً بالنسبة للمجاهدين وأفضل إدارة بالنسبة للمناضلين والمثقفين سياسياً.

فعندما يتمكن الاحتلال الاستعماري من القبض على سجين، سواء كانت هناك تهمة محددة أو لا، يتم نقله في البداية إلى المعتقل، حيث يتم وضع السجناء معاً دون تفريق بين العسكريين، السياسيين أو المدنيين، ويوضع معهم أيضاً العملاء والجواسيس الذين يتابعون الأخبار ويتجسسون أثناء التواصل بين السجناء، بما في ذلك التواصل بين السياسيين والعسكريين والفدائيين، وفي هذه المعتقلات، تبدأ القوات العسكرية في إجراء التحقيقات والبحث عن الأدلة التي قد توصلهم إلى المجاهدين في الجبال، وعندما يفشلون في الحصول على المعلومات المطلوبة، يتحولون إلى استخدام الوسائل القمعية والتعذيب.

في المرحلة الثانية، يتم فرز السجناء، حيث يُنقل المجاهدون المسلحون والمشتبه بهم سياسياً إلى سجون مخصصة لهذا النوع من السجناء، وقد كان سجن الكدية في قسنطينة من أبرز الأمثلة على ذلك، حيث كان يختلف عن المحتشدات الأخرى التي يُحتجز فيها المعتقلون دون أي تنظيم. ففي هذا السجن، كان المجاهد الذي يختلط بالعملاء والجواسيس يجد نفسه غير قادر على التواصل مع زملائه، لأن الخونة من الأصول الجزائرية يجلسون معهم ويشاركوهم حياتهم اليومية.

أما السجين الذي يبقى طويلاً في المعتقل، فيتم نقله إلى سجون أخرى حيث تُمارس عليه أبشع أنواع التعذيب بهدف انتزاع الاعترافات. وإذا لم يتمكنوا من الحصول على أي معلومات منه، يُعاد نقله إلى سجن آخر ليواجه تعذيباً مجدداً⁽²⁾.

1-3 أنواع التعذيب :

التعذيب بالماء هو أسلوب شائع الاستخدام نظراً لفاعليته من جهة، ولأنه لا يترك آثاراً جسمية واضحة⁽³⁾، ويمكن تقسيم هذه الطريقة إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

-إدخال الماء في الجسم من الفم :يهدف هذا الإجراء إلى إدخال الماء في بطن الضحية، ويتم ذلك إما عن طريق وضع قمع في فم السجين، ثم تفريغ الماء في معدته حتى تنتفخ، أو إدخال أنبوب مطاطي في الفم وربطه بمصدر ماء، يُفتح فم الضحية باستخدام قطعة خشبية لمنع غلقه أو سقوط الأنبوب، وعندما يصل بطن الضحية إلى درجة عالية من الانتفاخ، يضغط الجلاد على بطنه برجله، مما يؤدي إلى تدفق الماء من جميع مخارج الجسم.



-حوض الحمام: تختلف هذه الطريقة باختلاف وحشية الجلادين، ويتم تجريد الضحية من ملابسها في الليل، خاصة في البرد القارس، ثم يتم غمرها في حوض مملوء بالماء، حيث يتم تغطيس رأسها في الماء حتى تكاد تختنق أو يتم غمرها حتى تغرق.

كانت هذه الطريقة مخصصة بشكل خاص للنساء، إضافة إلى ذلك، هناك طريقة أخرى تتضمن وضع عصا تحت ركبتَي الضحية، ومرور يديها تحت العصا وربطهما معًا، ثم تعليق الضحية فوق حوض مائي بحيث يتأرجح جسدها. كلما أنكرت أو رفضت، يتم غمر رأسها في الماء القذر والعفن.

-القماط: يتم ربط جسد الضحية كما يُلف الرضيع، ثم يُعلق من قدميه باستخدام بكرة موجودة في الطابق الأول داخل السجن، بحيث يكون رأسه متجهًا نحو الأسفل، يتم غمر الضحية في ماء البحر لعدة ثوانٍ، ثم يُسحب منها وهي ترتجف من البرد، تتكرر هذه العملية حتى يُجبر السجين على الاعتراف أو حتى يموت من شدة التعذيب (4).

إضافة إلى الأساليب السابقة، استخدم الاحتلال الفرنسي طرقًا أخرى من التعذيب بالماء مثل الغطس في الماء الساخن ثم نقله فجأة إلى الماء البارد، أو غمر الضحية في ماء ممزوج بالصابون والملح وإرغامه على شربه.

-التعذيب بالحديد: يتم باستخدام أساليب متعددة، من أبرزها قيام الجلادين بحرق صدر الضحية وذراعيه وأصابعه باستخدام مكواة حديدية حامية، كما يجلس المعتذب على كرسي ذو ظهر عالٍ، فيقوم الجلاد بتمزيق اللحم باستخدام كماشات أو كلاليب على ظهره أو شفتيه، وأحيانًا تُنتزع منه قطعة من لحمه، كما حدث مع الشهيد العربي بالمهيدي، وفي بعض الحالات، يقوم الجلاد بإحداث جروح في أجزاء مختلفة من الجسم، ثم يضع عليها حبات من الملح.

-التعذيب بالحبل: يتنوع هذا الأسلوب أيضًا بعدة طرق، من أبرزها عملية الكيس، حيث يتم ربط قدمي الضحية ويديها معًا بحبل واحد كما يُفعل مع الكبش، ويُوضع رأس الضحية وظهره متجهين نحو الأرض، ثم يتم إطلاقه فجأة ليسقط مثل الكيس، وتكرر هذه العملية عدة مرات حتى يضطر الضحية للاعتراف (5).

-الخنق من الرقبة: يتم ربط الضحية على كرسي في وضعية الجلوس، ثم يتم شد عنقه بحبل رفيع، ويقوم الجلادان بسحب طرفي الحبل بقوة حتى يختنق المعتذب أو يموت.

-الربط على الأرض: يتم ربط الضحية في وضعية الصليب على أرض مبللة وباردة، حيث تُربط الأيدي والأرجل في أوتاد معزولة. يُترك المعتذب في هذه الوضعية لفترات طويلة في الظلام، مما يسبب اضطرابات نفسية حادة، إذ يُصاب معظم الضحايا بالاختلال العقلي.

-التعذيب بالنار : تعتبر النار وسيلة تعذيب سهلة التنفيذ لكنها تُسبب آلامًا شديدة للضحية نتيجة التشنجات التي تتركها، يتم تعرية الضحية من ملابسها، ثم توضع السجائر المشتعلة على مختلف أنحاء الجسم، كما يمكن دهن أجزاء من الجسم بالوقود وإشعال النار فيها، مما يؤدي إلى التهابات حادة تدفع الضحية للاعتراف، بالإضافة إلى ذلك، يمكن استخدام جهاز المحرار (الشاليمو) لحرق أجزاء معينة من الجسم مثل الكفين والأذنين والأنف واليدين أو الشعر.

-التعذيب بالزجاج : يتم ممارسة هذا النوع من التعذيب من خلال إزالة شعر الحواجب والأهداب، وحلق جزء من الشارب، وبتف شعر الرأس، وسلخ الجلد، كما يتم دق المسامير في جسد المعتقلين، وضع الملح على الجروح، وخلع الأظافر والأسنان، وققع العينين، وبتر الأصابع والأذنين والأعضاء التناسلية، وفي بعض الحالات، يتم إجلاس المعتقل على أطراف القضبان الحديدية أو الزجاجات، أو يُجبر على المشي على الزجاج.

-التعذيب بالكهرباء : استخدم هذا الأسلوب بشكل واسع كما أكده بعض من شاركوا في هذه الممارسات القذرة، مثل الجنرال "أوسايس" الذي وصفها بأنها كانت الطريقة المفضلة لدى جنوده، إذ يتم من خلال هذا الأسلوب إحداث أضرار جسيمة على المعتقلين، ما يخفي آثار التعذيب أثناء زيارات اللجان الدولية مثل الصليب الأحمر، وتتم العملية بعدة طرق، منها وضع المعتقل على طاولة حديدية، ورش جسمه بالماء لزيادة شدة الإحساس بالضغط الكهربائي، ثم توصيل السلك الكهربائي إلى الأذنين كمرحلة أولى، ثم إلى الأجهزة التناسلية كمرحلة ثانية، وتستمر لفترات تتجاوز الدقيقة وبشكل متكرر. وتُستخدم آلة توليد الطاقة الكهربائية المسماة "جيغن".

-التعذيب النفسي : يتمثل هذا الأسلوب في الاستعانة بضباط نفسيين لإجبار المعتقل على الاعتراف أو التخلي عن مبادئه لاستخدامه كدليل أثناء عمليات التمشيط، بالإضافة إلى ذلك، تلجأ القوات الفرنسية إلى وسائل نفسية أكثر تدميرًا، مثل إحضار زوجة المعتقل أو إحدى بناته للاعتداء عليهن جنسيًا، مما يؤدي إلى انهيار المعتقل نفسيًا، كما تجرى عمليات تحطيم معنويات المعتقلين أمام الآخرين في المحتشدات، مما أسفر عن آلاف من حالات الاغتصاب.

-التعذيب بالمخدرات : استخدم الاستعمار الفرنسي أسلوبًا قذرًا آخر وهو إجبار المعتقلين على تعاطي المخدرات لإجبارهم على الاعتراف، أو لإلصاق تهم مزيفة بهم وبيع بعض القادة السياسيين للثورة، وكان الهدف من ذلك هو استخدام هذه الاعترافات كحجج في المحاكمات الصورية ضدهم.⁽⁷⁾



2- نماذج من جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر

2-1 نماذج عن جرائم الإبادة الجماعية⁽⁸⁾ :

نفذت السلطات الاستعمارية الفرنسية، المدنية والعسكرية، أثناء الاحتلال الفرنسي عامة وأثناء الثورة التحريرية خاصة، مخططاً إجرامياً هدف إلى إبادة الشعب الجزائري، واستخدمت هذه السلطات كافة الإجراءات المتاحة لها دون تمييز، سواء تجاه المدنيين العزل من أطفال ونساء وشيوخ.

ارتكبت فرنسا مئات المجازر الجماعية وحالات القتل الفردي والعشوائي، وقد استعانت القوات الفرنسية بعدة وسائل وقوانين عقابية تتناقض مع القوانين الدولية وحتى مع القوانين الفرنسية، ووصفتها السلطات الاستعمارية السياسية بأنها "القوانين الخاصة (les pouvoirs spéciaux)"، وذلك بسبب تنوع الجرائم التي ارتكبتها فرنسا في الجزائر منذ دخولها في عام 1830 وعدم حصرها⁽⁹⁾.

تعددت الجرائم التي ارتكبتها فرنسا الاستعمارية في القرن التاسع عشر بطرق مروعة، من القتل الجماعي للسكان إلى النهب والسلب وتدنيس المقدسات، وقد أطلق الجنرال الفرنسي Bugeaud سياسة "الأرض المحروقة" وحرب الإبادة، على مشروعهم الهمجي الذي كان يهدف إلى القضاء على الوجود الجزائري بكل الطرق الممكنة.

إلى جانب عمليات الاستيطان واغتصاب الأراضي الزراعية، شنت قوات الاحتلال الفرنسي حرب إبادة منظمة ضد السكان المحليين تحت إشراف قادة الجيش الفرنسي، حيث ارتكبت مجازر جماعية استهدفت مئات من السكان والقبائل الجزائرية، خاصة تلك التي أبدت رفضها للاستعمار، وقد عبر أحد المشاركين الفرنسيين في عمليات الإبادة عن هذه السياسة الإجرامية بقوله: "مسألة العرب قد فُتِرت نهائياً، ولم يبق لهم سوى الموت أو الهجرة أو قبول الخدمة عند أسيادهم، هل يستفيقون قبل أن تطلق عليهم رصاصة الرحمة؟ أتمنى ذلك..."

وتميزت عملية الإبادة بتخطيط مسبق، حيث وصفها أحد القادة الفرنسيين قائلاً: "قد تتخذ الإجراءات الصارمة للقضاء على القبيلة المنوي تدميرها بواسطة قوات كبيرة، بحيث يكون الهروب مستحيلاً لأي مخلوق، ولا يدرك السكان الآمنون الخطر المحدق بهم إلا عندما يسمعون قرع الطبول التي تضرب نغمة مؤذية للأذن، وبعد ذلك تحدث المفاجأة التي لا يوجد لها مثيل إلا في قصص إبادة الهنود الحمر".

كما يعترف الكونت ديريسون في كتابه "مطاردة الإنسان (La Chasse à l'Homme)" قائلاً: "إننا والحق يقال، جلبنا برميلاً مليئاً بأذى غنمناها مع أزواج من الأسرى"⁽¹⁰⁾.

كان قطع أذان الأهالي وجمعها جزءاً من سياسة الإهانة والانتقام التي تبناها الاحتلال الفرنسي. يوضح ديريسون في مذكراته أن الجنود الفرنسيين في بلاد القبائل عام 1857 كانوا يحصلون على مكافآت مالية، تصل إلى عشر فرنكات عن كل زوج من أذان الأهالي التي كانوا يحضرونها، مما يعكس مدى الوحشية التي كان الجنود الفرنسيون يتمتعون بها، كان الهدف من هذا الفعل، وفقاً لديريسون، ليس فقط توثيق انتصارهم بطريقة همجية، بل أيضاً لتأكيد هيمنتهم وفرض سلطتهم عبر أساليب تهمين إنسانية السكان المحليين.

وفي سياق هذه الاعترافات، يواصل ديريغون قوله: "اقتربنا جرائم لا يمكن وصف وحشيتها بالكلمات، وكثيراً ما حكمنا بالإعدام ونفذنا ذلك رميةً بالرصاص"، كما تتوالى تصريحات ضباط آخرين تبرز بشاعة الممارسات الاستعمارية. على سبيل المثال، يذكر العقيد فوري (Forey) في حديثه عن حملته التي انطلقت من مليانة سنة 1857: "انطلقت سبعة طوابير بهدف التخريب، واختطاف أكبر عدد ممكن من قطعان الغنم، وخاصة النساء والأطفال، لأن الوالي العام (الجنرال بيجو) كان يريد بإرسالهم إلى فرنسا أن يلقي الفرع في قلوب السكان". في هذه الحملة، تم اختطاف أكثر من 3000 رأس من الغنم، وتدمير أكثر من 10 قرى كبيرة، وحرقت أكثر من 10 آلاف شجرة زيتون وتين وغيرها.

الرائد ويسني أيضاً تحدث عن إحدى حملاته قائلاً: "إن الدواوير التي أحرقت والمحاصيل الزراعية التي أتلفت لا تكاد تصدق، فلم يكن يرى من الجانبين من الطابور سوى النيران". كما يذكر ديفو في مذكراته عن قرية بني راشد: "بعد العشاء، كانت جميع المنازل قد التهمت بالحطب الذي بنيت به، وكانت السنة اللهب تتصاعد. فكم كانت هذه العملية جريئة من طرف جيوشنا، ورغم الجرائم لا أنسى قساوة حياة هؤلاء المساكين في فصل الخريف، حيث هلك الكثير من النساء والأطفال".

هذه الاعترافات وغيرها تظهر مدى الوحشية التي مارستها القوات الاستعمارية الفرنسية خلال حملاتها، والتي استهدفت تدمير المجتمع الجزائري، حيث لم تقتصر جرائمها على القتل والتدمير بل وصلت إلى مستوى الإهانة والتعذيب النفسي.

2-2 مزرعة أمزيان بقسنطينة نموذجاً للتعذيب أو الوجه الآخر لفرنسا الاستعمارية⁽¹¹⁾.

يرجع الفضل في الحديث عن مزرعة أمزيان إلى الكاتب الفرنسي بيار فيدال ناكي، الذي نشر مقالاً في 9 مايو 1961 حول التجاوزات الخطيرة التي كانت تحدث في هذه المزرعة، بناءً على تقرير أرسل إليه من مجموعة من المجندين الذين خدموا هناك، ويُعرف الكاتب بمواقفه المعادية للسياسة الاستعمارية في الجزائر، وقد أصدر العديد من المؤلفات والمقالات التي تناولت موضوعات متعلقة بالتعذيب، مثل ما كتبه انطلاقاً من شهادة صديقه روبرت بونو عن التعذيب في أبريل 1957، وكتاباً آخر عن قضية موريس أودان في 1957، بالإضافة إلى كتابه "التعذيب في الجمهورية" الذي صدر في 1962.

أما فيما يخص مزرعة أمزيان، فقد كان المؤرخ والكاتب الفرنسي جون لوك اينودي أول من تناول الكتابة عنها في 1991، وقد أدلى اينودي بشهادته أثناء محاكمة موريس بابون في 1997 بمحكمة بوردو. نشر اينودي 12 كتاباً تتعلق جميعها بالثورة الجزائرية، ويُعتبر من أبرز مؤرخي الثورة الجزائرية. من أهم كتبه قضية فرند ايفطون (1986) ومعركة باريس (1991)، بالإضافة إلى كتابه الذي سلط الضوء على أحد أهم مراكز التعذيب في قسنطينة والمعروف بمزرعة أمزيان، والذي صدر في 1991.

مزرعة أمزيان، الواقعة في الضواحي القريبة من مدينة قسنطينة، تتكون من عدة هكتارات فلاحية تتوسطها فيلا بطابق واحد، وحولها إسطبلات. تم مصادرتها من قبل الكتيبة 27 للمشاة في أبريل 1958، التي حولتها إلى مراكز للمعلومات والعمليات CRA (Centre de Renseignement et d'Action). تم تكييف المزرعة لتلبية متطلبات إيواء الجنود، حيث اتخذ النقيب رودبي



Rodier من الطابق الأول في الفيلا مقرًا له ومسكنًا. كما تحول الطابق الأسفل إلى مركز للاستنتاج، بينما تم تحويل الإسطبلات إلى سجون، وخصص مكان للترفيه عن الجلادين يتضمن حانة وقاعة سينما.

كانت ملكية المزرعة تعود لعائلة أمزيان (التي كان اسمها الحقيقي بن حمادي)، التي تنحدر أصولها من منطقة القبائل، ويقال إن أصولها تعود إلى عائلة المقراني، وكان الباشاغا أمزيان، صاحب المزرعة، من أعيان وأثرياء مدينة قسنطينة، وكان له علاقات مميزة مع الشخصيات السياسية والمدنية الفرنسية، وحصل على وسام الشرف، وكان معروفًا أيضًا بأعماله الخيرية، وكان متزوجًا بامرأتين: الأولى جزائرية أنجب منها ولدًا، والثانية فرنسية أنجب منها مونيك⁽¹²⁾.

واستطاع الباشاغا أمزيان، أن يحول مزرعته إلى مزرعة نموذجية، وبعد اندلاع الثورة التحريرية المجيدة، اضطر الباشاغا أمزيان إلى الاستقرار في فرنسا، وترك إدارة أعماله في الجزائر إلى ابنه مولود، الذي سوف يساهم بدعمه للثورة الجزائرية ماديا، هذا الأخير الذي ترك شؤون إدارة المزرعة لشخص يدعى مالك ماز، الذي بدوره ساهم في دعم الثورة عبر نقل المعلومات والرسائل إلى جيش التحرير، كما كان أحيانا يأوي المجاهدين، ولهذا السبب سوف تقوم فرنسا بمصادرة المزرعة، واعتقال مالكها مولود أمزيان، والمسير مالك ماز.

وبعد التأكد من تورط مولود أمزيان في أعمال دعم ومساندة الثورة، اقتحمت القوات الفرنسية المزرعة، وذلك في شهر ماي 1951، وقامت بتعذيب مولود أمزيان الذي سجن بها. وفي تلك الفترة شهدت ثورتنا المظفرة انتصارات كبيرة ومتعددة على كافة الجبهات وكسبت امتدادا شعبيا كبيرا، الشيء الذي دفع بجاك سوستال، دعوة نساء الجزائر نزع خمارهن والتجرد من ثقافتهن الإسلامية، وهذا ما طُلب من مونيك أخت مولود، بأن تقوم بنزع خمارها أمام المأى في التجمع الذي أشرف عليه سوستال بمسرح قسنطينة في 26 ماي 1958 مقابل إطلاق سراح أخيه المولود.

مونيك لم ترتد الخمار طوال حياتها، تفاجأت حينما عرض عليها هذا الطلب من طرف عميل وحركي كان هو من حفزها لذلك، وعلم فيما بعد أن الثورة قامت بتصفيته جزاء عمله المخزي مع مونيك، فلم تجد وسيلة أخرى إلا نزع خمارها لتحرير مولود من أيادي المجرمين الفرنسيين، وعلم فيما بعد أن الباشاغا أمزيان لم يكون راض بعمل ابنته، حيث أرسل خطابا لوالدتها يحذرهما من مغبة هذا الفعل، وما قد يترتب عنه من آثار وخيمة.

بهذه الطريقة أطلق سراح مولود أمزيان وعادت المزرعة للكتيبة 27 للمشاة، لتصبح مركزا للتعذيب والتنكيل غير المصرح به.

هذا المعتقل لا يخضع لأي قانون أو شريعة، وصودرت المزرعة بغير وجه حق من مواطن جزائري، وحولت لمركز تعذيب واستنتاج، في وقت كانت قيادات سياسية وعسكرية فرنسية تجهل أو تتجاهل ما يحدث في هذا المعتقل، وقد قامت السلطات العسكرية الفرنسية باعتقال العديد من الجزائريين العزل واستنطاقهم في هذا المكان لمدة في غالب الأحيان لا تطول، يحولون بعدها لسجون رسمية قانونية، أو يتم تصفيتهم جسديا في المنطقة الغابية المحاذية للمزرعة، التي كانت تسمى الشطابا، وغالبا ما كان الضحايا يستشهدون أثناء الاستنطاق بعدما يقاومون ببسالة جميع أنواع التعذيب، يتم كحل أخير تخويفهم بعبارة تكلم وإلى أخذناك إلى الشطابا، ويتم إطلاق صراحهم بعد التأكد الجلي من براءتهم، ولا يكون ذلك إلا بعد إمضاء على وثيقة تأكد عدم تعرضهم للتعذيب.

لقد تفنن القائمون على هذا المركز الجهنمي في ابتداع أساليب تعذيب متوحشة تعكس النفسية السادية لهؤلاء الجلادين، كجرائم الاغتصاب الجماعي مرات في حق نساء وفتيات صغريات السن لم يبلغن بعد، مثل الطفلة بوشنات التي أحلقت بعمها في المعتقل، وتم تعذيبها واغتصابها، وهي مل تتجاوز الثالثة عشر ربيعا⁽¹³⁾.

خاتمة:

في ختام هاته الورقة البحثية التي استعرضنا فيها سياسة التعذيب والقمع التي انتهجها المستعمر الفرنسي في الأراضي الجزائرية إبان الثورة التحريرية، وما عاناه الشعب الجزائري من ويلات الظلم وتجبر المستعمر الغاشم، توصلنا لمجموعة من النتائج التي تتمثل في :

- مارست فرنسا جميع أنواع التعذيب ضد الشعب الجزائري دون تمييز بين الأطفال، النساء، والشيخوخ، مما يعكس الوحشية المطلقة التي اعتمدتها في قمع المقاومة.

- سعت السلطات الفرنسية إلى استخدام كل الوسائل المتاحة لها، سواء كانت مادية أو نفسية، بهدف قمع الشعب الجزائري وإخماد الثورة، بل وابتكرت أساليب جديدة وغير إنسانية لإرهاب السكان.

- استعانت فرنسا بعدة قوانين عقابية تتعارض مع القوانين الدولية لتمرير ممارسات التعذيب، مستندة إلى القوانين الخاصة التي كانت تفرضها على المستعمرات بشكل يتجاهل تمامًا حقوق الإنسان.

- تكبد الشعب الجزائري على مدار أكثر من قرن من الزمان أبشع أنواع التعذيب والانتهاك لحقوقه، إذ كانت كل فئة اجتماعية عرضة للتنكيل والإهانة.

وفي الأخير نوصي بما يلي :

-من الضروري تكثيف البحث العلمي في مجال التاريخ الاستعماري والجرائم التي ارتكبتها فرنسا الاستعمارية ضد الشعب الجزائري، لتوثيق كافة الأدلة والشهادات الحية التي تبرز حقيقة تلك الجرائم.

-ضرورة الاستفادة من هذه الحقائق التاريخية لإرساء قيم العدالة والحقوق الإنسانية في العالم بأسره، ولمنع تكرار مثل هذه الجرائم في المستقبل ضد أي شعب أو مجموعة.



الهوامش :

- (1) عبد القادر ماجن: السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب وضحاياها، مجلة اول نوفمبر، العدد 93-94 ، ماي - جوان، 1988، ص 50.
- (2) بوعلام نجادي : الجلادون، 1830-1962، ترجمة : محمد المعراجي ، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص 146.
- (3) المرجع نفسه، ص 147.
- (4) نفسه ، ص 147 .
- (5) المركز الوطني، للدراسات البحث، في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
- (6) محمد عباس: نصر بلا ثمن، الثورة الجزائرية، 1954-1962م، دار هومة للنشر، الجزائر، 2007، ص 431.
- (7) شهادة دحماني موسى في حوار أجري معه بمؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة بعين الدفلى يوم 09 مارس 2014.
- (8) السعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962 ،رواد المقاومة الوطنية في القرن 19، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 24.
- (9) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ط1، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1965، ص 10.
- (10) جريدة المجاهد: العدد 12، ص 194. بن يوسف بن خدة: الجزائر عاصمة المقاومة، تر، مسعود الحاج، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 17.
- (11) جريدة المجاهد: التعذيب، المصدر السابق، العدد 08، ص 06 ؛ بن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص 108 .
- (12) أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 986 ، ص 163.
- (13) أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 108.

قائمة المصادر والمراجع:

1. بورنان ، السعيد: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962 ،رواد المقاومة الوطنية في القرن 19، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004
2. جريدة المجاهد، العدد .
3. 12دبوز ، محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج1، ط1، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1965.
4. دحمانية ، موسى : شهادة في حوار أجري معه بمؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة بعين الدفلى يوم 09 مارس 2014.
5. المركز الوطني، للدراسات البحث، في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
6. ماجن ، عبد القادر: "السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب وضحاياها" ، مجلة اول نوفمبر، العدد 93-94، ماي - جوان، 1988.
7. نجادي ، بوعلام: الجلادون، 1830-1962، محمد المعراجي منشورات ANEP، الجزائر، 2007.
8. سعد الله ، أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
9. عباس ، محمد : نصر بلا ثمن، الثورة الجزائرية، 1954-1962م، دار هومة للنشر، الجزائر، 2007.
10. بن خدة ، بن يوسف: الجزائر عاصمة المقاومة، تر، مسعود الحاج، دار هومة، الجزائر، 2005.